وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ

بقلم الفقير إلى رحمة الله

عبد الرزاق معالي

«وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ»

بقلم الفقير إلى رحمة الله

عبد الرزاق معالي

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

المقدمــــــــة

أما بعد،

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدّره تقديرا وجعل رحمته تسبق غضبه؛ سبحانه وتعالى على ما أنعم وأغدق على الإنسانية الأرزاق وجعل أصل الرّزق الماء الذي ينزل من السماء.

قال تعالى في سورة «الذّاريات»، الآية 22 : «**وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا توعَدُون**».

ففي رحاب القرآن دعوات متعدّدة إلى التأمّل في خلق الله، فقد سخّر الله ما في السماوات وما في الأرض للإنسان لكي يتحمّل هذه الأمانة الكبرى وهي عبادة الله وعمارة الكون.

قال تعالى في الآيات 7 و8 من سورة «ق» : « **وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ**»

قال تعالى في الآية التاسعة من سورة «ق» : «**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاء مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ**».

بسم الله الرحمان الرحيم

تغطي المياه تقريبا، نسبة سبعين بالمائة من الكرة الأرضيّة وأغلبها تكوّن الأنهار والبحار والمحيطات، أما المحيطات والبحار فهي مالحة، وأما الأنهار فمياهها عذبة. والماء في الكرة الأرضيّة في حركة دائمة، من سائل إلى بخار جراء حرارة الشّمس التي تبخّر الماء فيرتفع ذلك البخار إلى الجوّ فتتكوّن السّحب على هيئة كتل من الهواء المشبع بقطيرات الماء المتناهية الضآلة وتوجد سحب منخفضة وهي على ارتفاع كيلومترين تقريبا، من فوق سطح الأرض، أما أعلى السحب توجد على ارتفاع أحد عشر كيلومترا منه، كما توجد سحب ممطرة وأخرى عقيمة، فالسّحب المشبعة بقطيرات الماء تبسط في السماء بفعل الرّياح التي تثيرها وتسوقها إلى المكان الّذي ستنزل عليه. والمطر يتألف من قطيرات ماء كثيرة وكل قطرة تندمج معها تقريبا مليون قطرة أخرى فيثقل وزنها ولا يستطيع الهواء حملها فتنزل على الأرض وهنالك قطيرات صغيرة أخرى أكبر منها، فأمّا القطيرات الصّغيرة فتنزل بسرعة واحد ونصف كلم في الثّانية تقريبا، وأمّا الكبيرة منها فتنزل على الأرض مفلطحة، بسرعة ثمانية كيلومترات في الثانية، ونزول المطر رحمة من الله، فالماء يغذّي التربة ويحي الأرض بعد موتها فيستبشر النّاس بهذا الخير

العميم الّذي منّ الله به علينا.

قال تعالى في سورة «الرّوم»، الآية 47 : « **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ».

دور الجبال في نزول المطر :

إنّ للجبال دورا هاما في تشكيل الغيوم ونزول المطر، فحينما تسوق الرياح ذرّات الماء المتصاعدة من البخار تساهم الجبال في رفعها وتوجيهها إلى الأعلى، دائما هناك علاقة بين الجبال والغيوم، فقمم الجبال تكون مغطّاة بالسّحب معظم أيّام السّنة بسبب علوّها من سطح الأرض، التي تعمل كأنّها مصعد للهواء الّذي ينزلق على سطحها ويساهم الشّكل الانسيابي للجبل في تسريع تيّارات الهواء المحمّلة ببخار الماء ويعمل على تبريدها فتتشكّل الغيوم ونلاحظ أنّ الينابيع غالبا ما تكون بالقرب من الجبال، فالجبال مخزن للماء الذي يخرج من صخورها ليشكّل الأنهار التّي تكون طولها أحيانا آلاف الكيلومترات وهي تشقّ بلدانا، كنهر النّيل الّذي ينبع من جبال فيكتوريا بأوغندا ويشقّ كامل السّودان وكامل مصر ويصبّ

في البحر الأبيض المتوسّط وكما نعلم أنّ ماء الأنهار عذب فرات سائغ شرابه ونقيّ.

يقول الله تعالى في سورة «المرسلات» الآية 27 : « **وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا** »، ففي هذه الآية الكريمة هنالك علاقة وطيدة بين الجبال الشّامخات والماء الفرات لأنّ مياه الينابيع التي تخرج من الجبال خضعت لعمليات تصفية متعدّدة كما في محطّات معالجة المياه، كلّما مرّت المياه عبر مراحل تصفية أكثر كلّما كان الماء أنقى وفي حالة الجبال الّتي ترتفع عدّة كيلومترات فإنّها تعمل كأفضل جهاز لتنقية المياه على الإطلاق وكلّما كانت الجبال شامخة أكثر من غيرها كلّما كان المخزون أكبر كميّة، فسبحان الله الّذي عدّد مصادر المياه، فمع مياه الأمطار والينابيع هناك مياه سطحيّة وهي مياه الأنهار والبحار والمحيطات والبحيرات والجداول والقطع الثّلجيّة بعد ذوبانها وهناك أيضا المياه الجوفيّة وهي الموجودة في باطن الأرض جرّاء نفاذها من مسام الأرض والصّخور حتّى يصل من طبقة أرضيةّ نافذة إلى أخرى حتّى يستقرّ في الطّبقة الصّخريّة من الأرض وهي طبقة غير نافذة ويخزّن في هذا المستوى ويخرج بحفر الآبار الارتوازيّة أو غيرها ويستخرج هذا الماء بقوّة واندفاع، ولو جعل الله سبحانه وتعالى كلّ طبقات الأرض نافذة لما استطعنا أن نستخرج الماء من باطن الأرض.

قال تعالى في سورة «الملك» الآية 31 : « **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ**».

إنّ أصل مياه الأمطار أجاج وقد تمّت إزالة الملوحة منها بالدّورة الإلاهيّة المتّصلة بتبخّر مياه البحار والمحيطات بواسطة حرارة الشّمس ثمّ تحويلها إلى مياه أمطار عذبة.

قال تعالى في سورة «الواقعة»، الأية 73 ذاكرا الماء : «**لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ**».

لقد توصّل العلماء، حديثا، إلى الإنزال الاصطناعي للمطر، لكن هذا لا يتعدّى حلقة من حلقات تلقيح السّحب اصطناعيّا لأنّ تلقيحها وإنزال الماء منها يمرّ بعدّة مراحل وهذه المراحل لا يقدر عليها إلاّ الله سبحانه وتعالى، أمّا التّلقيح الاصطناعي فيكون برشّ أسفل السّحب وأعلاها بنقط من الماء بالطّائرات لاستعجال السّحب بهبوط المطر ولكن بهذه الطّريقة يسقط القليل من قطيرات الماء الّتي لا تكون كافية لكي تروي الأرض. إذن فالعلماء عاجزون على أن ينزلوا الماء من السّحب.

قال تعالى في سورة «الحجر»، الآية 21 : «**وَإِن من شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**».

فسبحان الله الّذي جعل نزول المطر بيده لا بأيدي البشر ولو

كان كذلك لمات كلّ النّاس عطشا.

فالحمد لله الرزّاق المنّان الذي يمنّ على عباده بشتّى أنواع الخيرات.

يقول الله تعالى في سورة «الإسراء»، الآية 100 : «قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا».

أقرّ الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات بأنّه هو الّذي يحيي الأرض وهو الذي يخرج الحبّ وينبت الأشجار والنّبات ويفجّر العيون وينزل الأمطار فهو الزّارع الحقيقي على الإطلاق، وأمّا الإنسان فهو مجرّد وسيلة فقط.

إنّ الآيات القرآنيّة تشير بكلّ وضوح إلى المعجزة في تركيب النّبات، فالنّبات يتغذّى من العناصر الموجودة في التّربة مثل الأكسيجين والهدروجين والكربون والآزوت والبوتاسيوم والكلسيوم وغيرها. كما أنّ النّبات يمتصّ الماء من الأرض والضّوء من الشّمس، والعجيب أنّ التّربة واحدة وتحتوي على نفس العناصر والماء هو واحد والضّوء واحد، فالإنسان يأكل ممّا تخرجه الأرض من خضروات وحبوب وفواكه متنوّعة في الأشكال والأنواع والألوان والمقاس والذّوق والرّائحة وغيرها مثل التّفّاح الحلو ذي اللّون الأحمر

والأخضر والبرتقال الحلو والحامض وكلّ هذه الفواكه تنضج في فصول مختلفة فمنها ما ينضج في الخريف ومنها ما ينضج في الشّتاء ومنها ما ينضج في الرّبيع ومنها ما ينضج في الصّيف.

فمن الفواكه التي تنضج في فصل الشّتاء، البرتقال الغنيّ بالفيتامين "ج"، الذي يحمي الإنسان من «نزلات البرد»، ومنها ما ينفع أكله في فصل الصّيف، كالبطّيخ، فهو منعش ويشعر من يتناوله بالبرودة ومن الفواكه النّافعة أيضا في هذا الفصل، التّمر الّذي يمنح متناوله الحيويّة والنّشاط.

عن السّيدة عائشة، رضي الله عنها، قالت : «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأكل البطّيخ بالرّطب فيقول نكسر حرّ هذا ببرد هذا وبرد هذا بحرّ هذا». رواه الشّيخان من كتاب الموسوعة للإعجاز القرآني.

وهنالك فواكه تنضج في فصل الخريف كالإجّاص والعنب والرّمّان وكلّها لها منافع عديدة، فالإجّاص ينفع مريض الكلى والذي يشكو من تصلّب الشّرايين، أمّا العنب ينفع من يشكو مرض القلب واضطراب الدّورة الدّمويّة وينعش البشرة أيضا وأمّا الرّمّان فهو ضدّ الإسهال ويحمي المعدة ويقوّيها، فهو كالدّباغ والفواكه التي تنضج في فصل الرّبيع لها منافعها كالفراولة التي تفيد في حالة الإمساك والتهاب المعدة والمعي، إذن فالرّمّان يفيد في حالة الإسهال،

والفراولة تفيد في حالة الإمساك، فسبحان الله الذي منح الإنسان كلّ هذه الفواكه المتنوّعة في الشّكل والطّعم والتي فيها دواءه.

هذه الخيرات تخرج من الأرض بعد نزول المطر عليها فتصبح كالمائدة فيها أنواع شتّى من المأكولات من لحوم وخضروات وفواكه وحبوب.

قال تعالى في سورة «عبس»، الآيات 24 إلى 32 : «**فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ* إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ**».

فالأرض كانت ميتة قبل نزول المطر عليها، وحينما ينزل الغيث النافع تربو وتتشقّق، فيدخل الماء في مسامها ليغذّي التّربة فيخرج النّبات والأشجار المثمرة.

إذن، كأن الله سبحانه وتعالى جعل السّماء تنفق على الأرض، كالرّجل الذي ينفق على زوجته، وفي الأثر أنّ بنتا في ليلة زفافها نصحتها أمها كيف تكون العلاقة المثمرة بينها وبين زوجها فقالت لها : «كوني له أرضا يكون لك سماء».

يقول الله تعالى في سورة «الذّاريات»، الآيات 56، 57 و58 :

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ»، وقال جل شأنه في سورة «غافر»، الآية 12 : «هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ».

فالله سبحانه وتعالى هو الّذي جعل الماء النّازل من السّماء المصدر الأساسي للرّزق الّذي تتشعّب منه كلّ الأرزاق، فنزول المطر من السّماء هو سنّة كونيّة لا تكون إلا بتقدير الله سبحانه وتعالى ولا يستطيع أيّ مخلوق أن ينزّل الماء من السّحب المتراكمة، فسبحان الله بديع السّماوات والأرض لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم الذي يقول للشّيء كن فيكون.

يقول الله تعالى في سورة «النّمل»، الآية 62 : «أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَاهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ».

كان رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، عائدا من غزوة متّجها إلى المدينة، فقام ومن معه من الصّحابة لصلاة الفجر، فقال : «أصبح اليوم مؤمن وكافر»، فانزعج الصّحابة وقالوا جميعا :

«صحابتك يا رسول الله»، فنظروا حولهم فظنّوا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يتحدّث عن شيء غيرهم فقالوا : «ما منّا مؤمن وكافر يا رسول الله»، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : «من قال أمطرنا بنوء كذا فهو كافر ومن قال أمطرنا بنعمة الله وفضله فهو مؤمن»، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يستقبل المطر في كفّيه ويقول : «هذه حديثة العهد بربّها» (من كتاب موسوعة الإعجاز العلمي ص203).

فرسول الله صلّى الله عليه وسلّم له معجزات عديدة متعدّدة وسنذكر واحدة تتعلّق بهذا البحث، كما يعلم كثير من المسلمين أنّ للأنبياء معجزات وللأولياء كرامات، وأكثر المعجزات الّتي أظهرها الله لأنبياءه الكرام اختصّ بها سيّد المرسلين محمّد رسول الله، فقد كان مرّة في غزوة مع أصحابه ولم يجدوا ماء لكي يشربوا ويتوضّأوا فأنبع الله الماء من بين أصابعه حتّى شرب كلّ الجيش وتوضّأ، فرسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكثر القليل من الطّعام أو من الماء بإذن من الله وهذا الأمر كرّر عدّة مرّات.

إذن فواجب علينا نحن بني آدم أن نشكر الله على نعمه لكي يرضى عنّا ولا ننكر فضائله سبحانه وتعالى لأنّ النّفس جبلت على حبّ من يحسن إليها لذلك أمرنا ربّنا سبحانه وتعالى أن نحسن لبعضنا بعضا لكي نعيش في هذه الحياة سعداء وفي وئام ومحبّة

دائمتين لكي يستطيع كلّ إنسان منّا أن يؤدّي عباداته على أكمل وجه، وتستقيم الحياة الدّنيا ولا نتعب فيها، فباتباعنا لأوامر الله واجتناب نواهيه وباتباع سنّة الحبيب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ننعم في الدّنيا والآخرة وأكبر هذه النّعم أن يرضى عنك مولاك وخالقك في الدّنيا والآخرة.

نرجع الآن ونذكر الفوائد العديدة للماء :

إنّ الماء يغذي الأرض فتخرج منها الحبوب والخضروات وكلّ ما ينفع النّاس ومن الحبوب هناك الشّعير والعدس والقمح، فالشّعير يمنح القوّة والمناعة للجسم أمّا «العدس» الغنيّ بالحديد فأكله ينفع مريض فقر الدّم والسّعال والتهاب الرّئتين وهو ينفع أيضا في حالة الإمساك وأمّا القمح فيمنح الجسم الصّلابة والقوّة والمناعة وهو مفيد أيضا في حالة التهاب المعدة والأمعاء وفي حالة الإمساك والإسهال، هذا بالنّسبة لبعض مأكولات الإنسان من الحبوب، أمّا الخضروات فمنافعها عديدة وهي تنضج في فصل الشّتاء خصوصا مثل «الجزر» و«السّبانخ» و«البقدونس».

فالجزر المطبوخ يؤكل لمعالجة الإسهال لدى الأطفال وشرب عصيره يعالج فقر الدّم والإمساك واضطراب الكبد وينعش البشرة ويقوّي النّظر، أمّا «السّبانخ»، فهو يعالج فقر الدّم والإمساك

والبواسير، وأمّا «البقدونس»، فهو ينشّط الدّورة الدّمويّة والكلى.

بعد الحديث عن بعض الخضروات والحبوب ومنافعها نذكر الآن نعمة أخرى من نعم الله وهي الأنعام الّتي سخّرها الله للإنسان، فمنها ما نركب عليها لنبلغ حاجة في صدورنا ومنها ما نأكل لحومها ونستعمل أصوافها وأوبارها لنصنع منها لباسا يقينا القرّ، ونستعمل أيضا الأصواف والأوبار أثاثا ومتاعا، فسبحان الله الذي جعل في الأنعام خيرا عميما.

يقول تعالى في سورة «النّحل»، الآية 5 : «**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**»، وقال تعالى في نفس السورة، الآية 80 : «**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**».

إنّ للأنعام فوائد كثيرة للإنسان فهو يتغذّى منها وهي على أربعة أنواع : الإبل والبقر والضّأن والماعز ومع الأنعام يأكل الإنسان لحم الطّيور والأسماك وكلّ هذه اللّحوم، سواء كانت أنعاما أو طيورا أم أسماكا لها طعم ومنافع خاصّة : فأكل لحم الأنعام يمنح القوّة والمناعة وهو يعالج فقر الدّم لأنّه غنيّ بالحديد والفتامينات.

أمّا لحم الطّير فيه فائدة كبيرة لنموّ الطّفل لاحتواءه على البروتين وهو لذيذ وهذا النّوع من اللّحوم من طعام أهل الجنّة.

يقول الله تعالى في سورة «الواقعة»، الآية 24 : «**وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ**»، وأمّا لحم الأسماك فهو لذيذ وطريّ وسريع الهضم ويحتوي على كثير من البروتينات ويزيد في الذّاكرة والعقل.

قال تعالى في سورة «النّحل»، الآية 14 : «**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**».

ممّ يتكوّن الماء ؟

الماء سائل شفّاف لا لون له و لا طعم ولا رائحة ويتركّب جزيئه من ذرتين من الهيدروجين وذرّة من الأكسيجين وتربط هذه الذّرّات الثّلاث مع بعضها البعض برابطتين تساهُمتَيْن يشكّلان زاوية مقداره (105) درجات ممّا يجعل لجزئي الماء قطبين كهربيّين يحمل أحدهما شحنة موجبة والآخر شحنة سالبة.

إنّ للماء عدّة صفات طبيعيّة مميّزة : فهو يتجمّد تقريبا، عند أربع درجات مئويّة، إذن في هذه الدّرجة من البرودة يتغيّر الماء من

السّائل إلى الصّلب فيصبح ثلجا. إنّ كل العناصر سواء كانت صلبة أو سائلة أو غازيّة، تخضع لقانون التّمدّد بالحرارة والانكماش بالبرودة إلاّ عنصر الماء، فإنّ الله جعل حجمه يزيد ويتمدّد بالبرودة فتنخفض كثافته، فلو أنّ الماء انكمش إذا تجمّد كسائر العناصر الأخرى لغاص في أعماق البحار وأدّى إلى تجمّد أعماقه ولماتت الكائنات البحريّة، فتنعدم الحياة على وجه الأرض، لكن من رحمة الله تعالى بنا أنّه جعل في الماء هذه الخاصيّة وله أيضا خواص أخرى منها أنّ له قدرة على حلّ الأجسام كالسّكّر والملح.

وأفضل أنواع المياه هو بلا شكّ ماء زمزم فهو ماء مبارك.

يقول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في حديث رواه أحمد وابن ماجة : «ماء زمزم لما شرب له»، ومعنى هذا الحديث أنّ من يشرب ماء زمزم يتحصّل على مراده، فمن أراد أن يشفيه الله من مرضه، شُفي ومن أراد أن يشربه لشبعه، أشْبعَه الله ومن أراد أن يشربه لظمئه، أرواه الله، قال ابن القيم في زاد المعاد : «وقد جرّبت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أمورا عجيبة واستشفيت به من عدّة أمراض فبرأت بإذن الله وشاهدت من يتغذّى به الأيّام ذوات العدد تقريبا من نصف الشّهر أو أكثر ولا يجد جوعا» وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : «قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم وشفاء من السّقم»، أخرجه الطّبراني

في الكبير وصحّحه الألباني.

إنّ نبع زمزم قديم يعود تاريخه تقريبا إلى 4000 سنة، ومعظم الآبار على الكرة الأرضيّة لا يستمرّ تدفّقها إلاّ من خمسين إلى مائة وخمسين سنة ثمّ تجفّ، وإنّ استمرار بئر زمزم في العطاء 4000 سنة هو معجزة بحدّ ذاتها، وعلى كلّ مسلم سواء ذهب للحجّ أو للعمرة أن يتضلّع من ماء زمزم وينوي بشربه كلّ خير له ولجميع المسلمين.

قال ابن عبّاس، رضي الله عنهما : «إذا شربت من ماء زمزم فاستقبل القبلة واذكر اسم الله وتنفّس ثلاثا وتضلّع منها، فإذا فرغت فاحمد الله عزّ وجلّ فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : إنّ آية ما بيننا وبين المنافقين أنّهم لا يتضلّعون من زمزم»، رواه بن ماجة.

إنّ ماء زمزم ليس عذبا حلوا بل يميل إلى الملوحة نظرا لغناه بالمعادن وهو يعالج الأمراض الهضميّة والرّوماتيزم والأمراض القلبيّة والشّرايين وكثير من الأمراض المزمنة والتّحاليل المخبريّة لماء زمزم تشير إلى أنّ اللتر الواحد يحتوي على كالسيوم (200ملغ)، مغنزيوم (50ملغ)، الصّديوم (350ملغ)، بوتاسيوم (120 ملغ)، كلور (350 ملغ)، كبريت (370 ملغ)، بيكربونات (366 ملغ) نترات (270 ملغ)، نتريت (0,01 ملغ)، من كتاب موسوعة الإعجاز العلمي

ص248.

لقد أثبتت الأبحاث العلميّة أنّه لا يوجد في ماء زمزم جرثومة واحدة فهو يعتبر ماء طاهرا، وإذا وجد فيه جراثيم فإنّه يكون من جرّاء أنابيب المياه أو الأواني الملوّثة.

قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في وصف ماء زمزم : «إنّها مباركة إنّها طعام طعم»، رواه مسلم.

إنّ هذا النّبع المبارك تفجّر بعدما ترك سيّدنا إبراهيم عليه السّلام زوجته، السّيدة هاجر وابنها إسماعيل، في الصّحراء بأمر من الله تعالى وبعد نفاذ مؤونتهم مكثت السّيدة هاجر أيّاما بدون أكل وخافت على ابنها من الهلاك فخطر ببالها أن تجري بين الصّفا والمروة وهي تبحث عن الماء متوسّلة ومتضرّعة إلى الله ليمدّ لها يد العون ويرزقها وابنها، فسعت سبعة أشواط بين الصّفا والمروة، فبينما كان الطّفل إسماعيل، يضرب على الأرض بقدميه حتّى جاء جبريل عليه السّلام بأمر من الله، وضرب بطرف جناحه في المكان نفسه حتى نبع الماء وبعد هذه الحادثة مر المسافرون من ذلك المكان ووجدوا ضالّتهم، وهو الماء الّذي يتشعّب منه كلّ الأرزاق، فاستوطنوا فيه. وبعد ذلك بقُرون بُعث النّبي صلّى الله عليه وسلّم وفُرض الحجّ على الأمّة وصارت حادثة سعي السّيدة هاجر بين الصّفا والمروة سبعة أشواط شعيرة من شعائر الحجّ.

قال الله تعالى في سورة «البقرة»، الآية 157 : «**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**».

إذن على الحاجّ حينما يسعى بين الصّفا والمروة أن يتذكّر سعي السّيدة هاجر.

إنّ شكر الله عزّ وجلّ على نعمه الّتي لا تحصى ولا تعدّ من أجلّ الطّاعات الّتي يقوم بها المسلم الّذي يؤمن بأنّ الله هو الرّزّاق الوهّاب الّذي يرزق الإنسان في كلّ آن وحين، فهو الّذي سخّر له ما في السّماوات وما في الأرض لكي يستطيع أن يحمل الأمانة المناطة بعهدته وهي العبادة لله وحده.

قال تعالى في سورة «الإسراء»، الآية 70 : «**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**».

إنّ الله سبحانه وتعالى علّم آدم أبو البشر، الزّراعة، فعلّمها لأبناءه ومن ثمّ أتقنت كلّ الإنسانيّة هذا العلم وكلّ هذا يؤكّد أنّ الله سبحانه وتعالى هو الزّارع الحقيقي، وأنّ الإنسان مجرّد وسيلة فقط لا غير، إذن كلّ الخير وكلّ النّعم من الله عزّ وجلّ.

يقول الله تعالى في سورة «النّحل»، الآية 18 : «**وَإِن تَعُدُّوا**

نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

للماء عدّة خصائص أعطته قيمة كبيرة في كلّ مجالات الحياة ومنها : إنّه مادّة مذيبة فهو يذيب الكثير من الأملاح ومواد أخرى والماء الموجود في الطبيعة ليس نقيّا بالكلّية بسبب الأملاح والغازات الموجودة في الطّبيعة. لكي تذوب مادّة في الماء يجب أن تحتوي على إيونات حرّة أو أن تكون مادّة قطبيّة (لأنّ المثل يذوب بالمثل).

والماء مادّة قطبيّة لهذا السّبب يعتبر الماء مذيب جيّد للمواد.

الماء سائل متعادل كيميائيّا إذ أنّ درجة الحموضة أوالقاعديّة فيه هي 7، وهذا يعني أنّه لا يمكن اعتبار الماء مادّة حمضيّة أو قاعديّة لأنّه مادة متعادلة كيميائيّا تميل جُزيْئات الماء إلى التّصرّف كمجموعات مترابطة وليس كجزيئات منفصلة. ومجموعات جُزيْئات الماء تكون محتوية على فراغات.

الماء مادّة موصلة سيئة للكهرباء ولكن بما أنّ الماء مادّة مذيبة، فعند إذابة الأملاح في الماء أو إذابة مواد أخرى، يصبح الماء موصلا جيّدا للكهرباء.

هنالك أنواع عديدة من المياه منها المياه الجوفيّة وهي الموجودة في باطن الأرض وهنالك أيضا مياه الينابيع الّتي تنقسم إلى نوعين :

ينابيع صغيرة الحجم وينابيع كبيرة وهي تخرج من الجبال وكلّ هذه الأنواع من المياه متأتية من الأمطار الّتي جعلها الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين.

قال تعالى في سورة «البقرة»، الآية 265 : «**كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**».

تشير الآية الكريمة إلى أنّ الأرض المرتفعة هي أفضل للزّارع والإنتاج منها قد يصل إلى الضّعفين مقارنة بالأرض المنخفضة. الأرض المرتفعة إذا رُويت ريّا غزيرا فإنّها تأخذ كفايتها من الماء ثمّ ينصرف الباقي تماما، أما لو رويت ريّا خفيفا فإنّها تحصل على حاجتها دون أن يتخلّف من الماء ما تحتاج إلى التّخلّص منه، على هذا المبدأ وضعت أمور الصّرف للمياه موضع الاهتمام، كما أنّ الأرض المرتفعة تعطي زرعا وإنتاجا غزيرين ينتفع بهما الإنسان والحيوان والنّبات.

قال الله تعالى في سورة «الرّعد»، الآية 19 : «**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ**

اللَّهُ الأَمْثالَ»، في هذه الآية الكريمة توجد إشارة إعجازية على خصوبة التربة القريبة من الوديان.

أثبتت الأبحاث والتّجارب الزّراعيّة الحديثة أنّ الأراضي القريبة من الوديان تكون تربتها غنيّة بالعناصر والمعادن اللاّزمة للإنتاج الزّراعي مثل الكلسيوم والبوتاسيوم والآزوط وغيرهما.

كما أثبتت الأبحاث الزّراعيّة أنّ التصاق حبيبات الطّين مع جُزيْئات المواد العضويّة الّتي تتمّ بواسطة المعادن يعتبر من أهمّ العوامل الأساسيّة الّتي تؤدّي إلى خصوبة التربة وغناها وقدرتها على احتفاظها على الماء.

لقد جعل اللّه سبحانه وتعالى خصوبة التّربة مضرب مثل بالمقارنة مع الإنسان المؤمن الّذي ينفع النّاس بالعطاء والإصلاح في الأرض، فهو بذلك مثل الّذي يمكث في الأرض وهو الجزء الهام من التربة الخصبة.

فإنّ المؤمن لا يأتي منه إلاّ الخير فهو ينفع العباد ويفتح قلوبا قاسية بأخلاقه الحميدة وحسن معاملته لبني جلدته ويغلق أبواب الشّرّ فهو كالنّخلة الشّامخة تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها، وهذه الأخلاق الحميدة الفطريّة والمكتسبة للمؤمن هي نتيجة اتّباعه المنهج الرّبّاني وسنّة الحبيب المصطفى وابتعاده عن سبل الشّيطان، إذن فأفعال المؤمن مباركة كالماء الّذي يحيي الأرض بعد موتها، ولكن

المؤمن المخلص يحيي قلوبا مُغلَقة بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بحكمة ورويّة.

يقول اللّه سبحانه وتعالى في سورة «النّحل»، الآية 125 :

«أدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»

إنّ الإنسان خُلِقَ للعبادة، فهو أمام طريقين، إمّا طريق النّجاة من النّار والحصول على مرضات اللّه بالإخلاص للّه سبحانه وتعالى واتّباع سنّة نبيّه، خير الأنام وإمّا طريق الهلاك، بسبب الابتعاد عن أوامر اللّه وارتكاب المحرّمات وهو سبيل الشّيطان الّذي يؤدّي إلى العذاب وسخط اللّه –والعياذ باللّه – وكلّ الأبواب الّتي تؤدّي إلى رحمة اللّه موصودة إلاّ الباب الّذي فتحه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وهو اتّباع سُنَّتِه والاقتداء بهدْيه لأنّ الرّسول هو المبلغ عن اللّه ولكن الإنسان في خضمّ هذه الحياة يتعرّض لكثير من الفتن المؤدّية إلى الفواحش وعدم الفهم عن اللّه لذلك شرع اللّه برحمته سبحانه وتعالى التّوبة والاستغفار في حال البعد عنه بارتكاب المعاصي، الكبائر منها والصّغائر، ولا بدّ على الإنسان أن يكون في حالة يقظة تامّة ومستديمة، يحرس بها نفسه بقراءة كلام اللّه وأحاديث رسوله ويحرس نفسه من فعل المعاصي والسّعي إلى فضائل الأعمال،

فالمسلم يجب عليه أن يكون على ثغرة من ثغور الإسلام لكي لا يكون سببا في ضعف الأمة الإسلامية، فالاستغفار والتّوبة هو علامة من علامات الإيمان وهو شعور الإنسان بالذّنب والتّقصير في حقّ خالقه وحبّ الرّجوع إلى اللّه.

في هذه الحالة التي يكون فيها الإنسان طالبا للغفران لا يجد من اللّه سبحانه وتعالى إلاّ المغفرة والرّحمة، فرحمته سبحانه وتعالى سبقت غضبه، بل زيادة على ذلك فهو يمحو السّيّئة، فاللّه سبحانه وتعالى يصبّ على المستغفر الرّحمات صبّا صبّا ولكن إيّانا معشر المسلمين من التّواكل على رحمته، فنرتكب المعاصي ونفسد حياتنا الدّنيا والآخرة بالبعد عن منهج اللّه القويم وما نراه اليوم في الحياة الدّنيا من حروب ومجاعات واحتقار القويّ للضّعيف وتسلّطه عليه وأكل أموال النّاس بالباطل إلاّ نتيجة ابتعاد جلّ النّاس عن المنهج الرّبّاني الذي يؤدّي إلى عدم الشعور بالطمأنينة.

يقول اللّه تعالى في سورة «الإسراء»، الآية 9 : «**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**».

فاللّه سبحانه وتعالى هو الّذي سخّر لنا السّماوات والأرض وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، فأنزل علينا الماء من السّماء ويغفر لنا ذنوبنا ويقرّبنا إليه ولا يحبّ لنا إلاّ السّعادة والهناء في الدّنيا

والآخرة فلا يستطيع إنسان على وجه الأرض أن يعيش بدون رحمة اللّه وغفرانه، فالاستغفار حاجة ملحّة للإنسان كشربه للماء الذي لا يستطيع أن يعيش بدونه.

إنّ الإنسان يستعمل الماء في كلّ حياته فهو يستعمله للشّرب والصّناعة والزّراعة والنّظافة ويستعمله أيضا ليتطهّر به، فالماء الّذي ينزل من السّماء طاهر مطهّر، فهو طاهر في ذاته ومطهّر لغيره، فالمسلم يتوضّأ به قبل أداء الصّلوات ويغتسل به حينما يكون جُنُبا فالإنسان خُلق من ماء وجُعلت طهارته بالماء أيضا.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم في حديث أخرجه مسلم : «إنّما الماء من الماء». وقد أمرنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم بالاقتصاد في استعمال الماء وعدم الإسراف.

ورد عنه صلّى اللّه عليه وسلّم أنّه مرّ بسعد وهو يتوضّأ فقال : «ما هذا السّرف؟»، فقال : «أفي الوضوء إسراف؟»، قال : «نعم، وإن كنت على نهر جار»، حديث حسن رواه ابن ماجة، من كتاب «موسوعة الإعجاز العلمي» - ص199.

إذن فالمسلم عليه أن يقتصد ولا يسرف في كلّ أمور حياته، وخاصّة عند استعماله للماء، لأنّه شيء حيوي ويشترك فيه كلّ النّاس، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : «النّاس شركاء في ثلاث : الماء والكلأ و النّار»، فواجب على المسلم أن يُفكّر في أخيه

عندما يتوضّأ أو يغتسل لأنّ الله سبحانه وتعالى جعل الماء رحمة لخلقه، فهم يستعملونه لكلّ شيء، سواء في شربهم أو في الصّناعة أو الزّراعة...

صفة الماء الطّهور

الماء الطّهور هو الذي لا لون ولا رائحة ولا طعم له، هذا بالنّسبة للماء النّازل من السّماء، أمّا ماء البحر فهو طهور أيضا، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : «هو الطّهور ماءه والحلّ ميتته».

قال تعالى في سورة «المائدة»، الآية 7 : «**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ...**»

إنّ الحياة بدأت بإنزال الماء على وجه الأرض وأوّل المخلوقات الّتي وجدت هي مخلوقات دقيقة مائيّة وكما نعلم أنّ أوّل إنسان خلق هو سيدنا آدم عليه السلام أبو البشر، خلقه الله من طين على الهيئة الّتي نحن عليها الآن ثمّ نفخ فيه من روحه وجعل له السّمع والبصر والفؤاد وجعل ذرّيته من ماء دافق : ماء الرّجل وماء المرأة.

قال تعالى في سورة «الطّارق»، الآيات 5، 6، 7 و8 : «**فَلْيَنظُرِ**

الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ *خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ»، وقال في سورة «الفرقان»، الآية 54 : «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا»، فالماء إذن هو أصل الحياة لأنّ كلّ شيء خُلق من ماء، فالدّواب الّتي تمشي على رجلين أو على أربع أو على بطنها، خلقت أيضا من ماء، قال تعالى في سورة «النّور»، الآية 43 : «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، وقال تعالى في سورة «الأنبياء»، الآية 30 : «أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ».

قال العلماء أنّ السّماوات والأرض كانتا كتلة واحدة فانفصلت كلّ جزء منها وتكوّنت الكّواكب والنّجوم وهذا الانفصال سمّي «بالانفجار العظيم»، وهو «الفتق»، الّذي ذكره اللّه تعالى في الآية آنفة الذّكر، ثمّ بعد هذا «الفتق» أو الانفجار، أنزل اللّه الماء من السّماء وهيّأ الأرض للإنسان ليعيش فيها.

إذن فالماء والنّبات والحيوان خُلقت قبل مجيء الإنسان ليعيش

على هذه البسيطة. فحينما يولد الإنسان يتغذّى من السّاعة الأولى من ثَدْيَيْ أمّه وهذا الغذاء يتكوّن قبل ولادة الرّضيع، أنظر كيف أنّ الله حبا الإنسان برحمته وعطفه ورزقه في جميع مراحل حياته سواء كان في بطن أمّه أو عند ولادته أم في شبابه أو كهولته أو في شيخوخته، فهو سبحانه وتعالى الذي سبقت رحمته غضبه فهو الرّحمان الرّحيم، أرحم على عبده من الأمّ على رضيعها.

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، مرّة مع أصحابه فرأى امرأة محتضنة رضيعها وبجانبها نار تشتعل، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : «أَتَرَوْنَ هذه المرأة تقذف رضيعها في النّار»، قالوا : «لا يا رسول الله»، فقال : «الله أرحم على عباده من هذه المرأة على رضيعها»، ولا نتصوّر بحال من الأحوال أنّ حينما يدخل الله النّار عباده الكافرين والمنافقين لأنّه لا يحبّهم ولكن أدخلهم النّار بعدله وليأخذ حقّ المظلوم من الظّالم لأنّنا كلّنا عبيده فهو حرّم الظّلم على نفسه وجعله بيننا محرّما ولو لم يكن هناك حساب يوم القيامة وجزاء وعقاب لما كانت الحياة الدّنيا لها معنى، إذن العدل والحقّ هو أن يُكرَم المؤمن ويُعاقَب الكافر.

قال تعالى في سورة «الإنسان »، الآيات 4، 5 و6 : «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالَا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ

بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا».

إنّ اللّه سبحانه وتعالى جعل الماء النّازل من السّماء رحمة منه وجزاء وشكورا لمن امتثل أوامره وابتعد عن نواهيه، فالماء يكون أحيانا غيثا نافعا يسقي النّاس والأنعام والحرث وأحيانا أخرى يكون عذابا وعقابا فهو جندي من جنود اللّه، فقوم نوح عليه السّلام لمّا كفروا وجاهروا بالفساد أرسل اللّه عليهم الطّوفان فأغرقهم جميعا وأبقى المؤمنين، فكان الماء ينزل بغزارة والأرض تنبع منها العيون فالتقى ماء السّماء بماء الأرض حتّى غُرقوا، وبعد ذلك جدّد اللّه الخلق من أصلاب المؤمنين الّذين كانوا مع نوح في السّفينة فكان عليه السّلام يعتبر الأبّ الثّاني بعد آدم عليه السّلام.

قال تعالى في سورة «القمر»، الآيات 11 و12 : «**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**».

والماء نجّى سيّدنا موسى عليه السّلام، إذ رَمتْه أمّه في اليمّ بعدما وضعته في التّابوت بسبب خوفها عليه من فرعون، فأوصل التّيّار المائي التّابوت أمام قصر فرعون، عدوّ اللّه وعدوّ الإنسانيّة فألقى اللّه سبحانه وتعالى على زوجة فرعون محبّةَ موسى عليه السّلام واتّخذته لتعتني بن وبقيَ في القصر ونشأ عند عدوّ اللّه ولمّا بُعث موسى إلى فرعون لهدايته أَبَى هذا الكافر وعاند وكابر فكان اليمّ

الذي نجّى الله فيه موسى عليه السّلام هو نفسه الّذي أغرق فيه فرعون وجنوده.

ومازالت جثّته في متحف من متاحف مصر ليكون شاهدا على كلّ طاغية، وما أكثر الطّواغيت في هذا العصر لأنّهم لا يعتبرون ولا يعقلون.

قال تعالى في سورة «طه»، الآية 78 : «فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ».

وكذلك قوم عاد لما أكثروا الفساد وظنّوا أنهم أشدّ النّاس قوّة فتجبّروا ونسوا أنّ هذه القوّة منحة من الله، فالواجب أن يَشكروا ولا يُنكروا نعمه عليهم، فصبّ عليهم سوط عذاب وهو عارض مستقبل أوديتهم بعد أن جفّت حقولهم وفرحوا بهذا العارض وظنّوا أنّه ممطرهم ولكن كان عذابا شديدا من الله الّذي صبّ عليهم أمطارا غزيرة مصحوبة بريح سموم تدمّر كلّ شيء، فتأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وبقي مع هود عليه السّلام من آمن من قومه.

قال تعالى في سورة «الأحقاف»، الآيات 23 و24 : «فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا تُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ

نجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ».

هذا الماء يكون، أحيانا، رحمة ويتحوّل، أحيانا أخرى، إلى وسيلة عذاب ولكن في الآخرة يتنعّم المؤمن بالماء الغير آسن مع ألوان أخرى من النّعم الّتي لا تحصى ولا تعدّ ولكن الكافر والمنافق يُحرما منه بل يُسقيا ماء حميما، يُقطّع أمعاءهما.

قال تعالى في سورة «محمّد»، الآية 16 : «**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ**».

جاء في الأثر أن قطعتين من الأرض مُتجاورتين كانتا على ملك رجُليْن، فالقطعة الأولى كانت لمؤمن وهو يزكّي من محصولها وصاحب قطعة الأرض الثّانية لا يُزكّي. ومرّتْ على القطعتين سحب مُشبَعَة بقُطيْرات الماء، فأنطق اللّه السّحاب وقال إنّما بُعثت لأسقي أرض الرّجل الصّالح وأمّا القطعة المجاورة فلم تنزل عليها ولو قطرة واحدة. وهذا يدعونا إلى أداء الزّكاة عندما يبلغ النّصاب لأنّ بأداءها ينتشر الخير ويعمّ الرّزق على كلّ النّاس ويكون المال مُتداوَلا بين الخلق جميعا لا في أيدي جماعة من النّاس فحسب فتنشأ الطبقيّة

وتنتشر الفاقة.

يقول الله تعالى في سورة «يونس»، الآية 24 : «إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ».

هذه الآية تشير إلى فناء الدّنيا بعدما كان أهلها يمرحون عليها ظانّين الخلود فيها، ولا يحسبون للآخرة حسابا، كظنّ كثير من النّاس بأنّهم سيأكلون خيرات الأرض الّتي أُخرجت بعد نزول الغيث النّافع ولكن أتاها أمر الله فأفنى هذا الرّزق وجعله حصيدا كأن لم يَغْن بالأمس، وهذا ظنّ كلّ إنسان يعمل للدّنيا فقط، ولكن التّفكير السّليم هو أنّ هذه الدّنيا مزرعة ومطيّة للآخرة فلا بدّ للإنسان أن يأخذ من الدّنيا للآخرة ويتّبع رضوان الله بالامتثال لأوامره وتجنّب نواهيه، إنّ الإنسان العاقل لا تغرّه زينة الحياة الدّنيا ولكن في واقعنا الحاضر أن هناك عديد من الأشخاص الذين يظنون أنّهم تحصّلوا على مبتغاهم حتّى جاءهم أمر الله وربّما قُبضوا على سوء الخاتمة، ولو سألت كلّ من مات عن الشّيء الذي يريد أن يحقّقه قبل موته لقال لك : «مازالت لي حاجة من الدّنيا لم أتحصّل

عليها»، إذن من الأفضل أن لا نجعل الحياة الدّنيا نُصب أعيننا بل نعمل لمرضات اللّه مع الأخذ بالأسباب المشروعة.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم في حديث صحيح، رواه البخاري ومسلم : «نعم الدّنيا مطيّة الآخرة»، لأنّ السّفر للآخرة شاقّ ولا تكون الرّاحة إلاّ بعد ما يموت الإنسان على حسن الخاتمة كي ينجو في الآخرة.

يقول اللّه سبحانه وتعالى في سورة «إبراهيم»، الآية 21 : **«مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ»**.

إنّ الكافر يظنّ نفسه أنّه طليق اليدين في هذه الدّنيا ولا يحسب للآخرة حسابا، لذلك لا تلومه نفسه عن فعل الموبيقات ويريد أن يأخذ من الدّنيا كلّ ما يشتهي بدون حدود وضوابط، لأنّه لا يؤمن باليوم الآخر وهذا الظّنّ هو الذي سيورده النّار وبئس المصير إن لم يَتُبْ ويرجع عن هذا الكذب والافتراء ولو كان حصيفا واستعمل عقله الذي هو مناط التّكليف لَعَلِمَ أنّ الدّنيا بدون آخرة ليس لها معنى، بل بوجود يوم القيامة تكون الدّنيا لها مغزى لأنّه من الطّبيعي والضّروري أن يُجَازى المُحسنُ ويُعاقب المذنبُ.

قال تعالى في سورة «ص»، الآية 27 : «**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**».

إنّ الدّنيا مطيّة للآخرة فلا ينجو الإنسان في الحياة الدّنيا إلّا بإيمانه وعمله الصّالح لأنّ الدّنيا ليست دائمة فهي دار فناء وستزول كما يزول النّبات حينما يصفرّ بعد أن كان يانعا مُخضرّا، فالدّنيا ممرّ والآخرة مقرّ، أنظر كيف بعد نزول الغيث النّافع يخرج النّبات من الأرض ويكون يانعا وبعد مدّة يصفرّ فتأتيه الرّيح فيزول كأن لم يكن موجودا من قبل، هكذا مثل الدّنيا، فهي فانية يقول الله سبحانه وتعالى في سورة «الكهف»، الآية 44 : «**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا**».

إنّ الماء يغطّي تقريبا سبعين من المائة من الأرض وثلاثين من المائة يابسة وكما نعلم أنّ فيها صحاري شاسعة والمسافر حينما يقطع الصّحراء لا بدّ له من معرفة الاتّجاه الّذي يسير فيه والذي سيوصله إلى مبتغاه وهذا الاتجاه لا يهتدي إليه إلاّ بالنّجوم في ظلمة اللّيل في البرّ والبحر.

قال تعالى في سورة «الأنعام»، الآية 98 : «**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**».

لقد أثبت العلم الحديث أنّ النّجوم هي مصدر الضّوء الأصلي في السّماء لأنّها أجرام تلتهب وتصل درجة الحرارة فيها إلى ملايين الدّرجات لذلك يتولّد الضّوء من ذاتها وتعطيه إلى الخارج فتضيء بذلك الكرة الأرضيّة، وهنالك نجوم عدّة تُألّف مجموعات من النّجوم وهذه المجموعات هي التي يهتدي بها الإنسان، فهنالك من المجموعات ثلاثة نجوم متتالية إلى اتّجاه القبلة أي الاتّجاه الذي يوصل إلى مكّة المكرمة، وهنالك نجم يهديك إلى جهة الشّمال، وتسمّى بالنّجمة القطبيّة وبمعرفة جهة الشّمال تستطيع أن تعرف الجهات الثلاث الأخرى أي الشّرق والغرب والجنوب.

فإنّ الصيّادين في البحر وربّان البواخر التي تحمل على متنها السّلع والبضائع، تجوب كلّ البحار من قارة إلى أخرى، تهتدي في ظلمات البحر بالنّجوم.

قال تعالى في سورة «النّحل»، الآيات 15 و16 : «**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**».

إنّ اللّه سبحانه وتعالى هدى الإنسان وأرشده إلى سواء السّبيل

فإمّا يؤمن وإمّا يكفر، فالإيمان يجعلك أن تُحاسِبَ نفسك قبل أن تُحَاسَبَ والكفر والعياذ بالله يجعل الإنسان يتخبّط في ظلمات الشّرك والكبائر والأوهام وهذا الإنسان يظنّ أنّه يفعل الخير ولكن خيّل إليه أنّ الباطل هو الحقّ والحقّ هو الباطل كالعطشان في الصّحراء يرى سرابا فيظنّه ماء فيذهب إليه مُسرعا فلا يجد شيئا بل يجد الخُسران والوبال فيوفيه الله حسابه، والله سريع الحساب.

قال تعالى في سورة «النّور»، الآية 38 : «**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**».

الحواجز المائيّة :

إنّ ماء الأنهار ينبع من الجبال الشّامخات بكمّيات كبيرة وتشقّ بلدانا لآلاف الكيلومترات، وتصبّ في البحر، فنهر النّيل مثلا ينبع من جبال فكتوريا "بأوغاندا" ويشقّ كلّ السّودان ويمرّ على طول مصر من الجنوب إلى الشّمال (تقريبا طوله 6500 كلم)، حتّى يصبّ في البحر الأبيض المتوسّط، وعند هذا المستوى هنالك حاجزا مائيّا، لكي لا يختلط ماء النّهر بماء البحر، وبذلك يحافظ كلّ ماء

عن خصوصيّاته، إذن بالنّسبة لكلّ الأنهار يكون المصبّ في البحار، وعندها يكون الحاجز المائي، وهذا الحاجز هو ماء ثالث ويمتدّ لكيلومترات، وقال علماء البحار، أن عند هذه الحواجز تكون التّربة غنيّة بالمعادن، وفيها تجمّعات سكّانيّة لخصوبة الأرض فيها، ورغد العيش والنّهر ماءه حلو ويعيش فيه كائنات حيّة لا تستطيع أن تعيش في ماء البحر لأنه مالح، لذلك جعل اللّه حاجزا وحجرا محجورا بين النّهر والبحر، فالكائنات البحريّة لا تعيش إلاّ في البحر والكائنات التي تعيش في النّهر لا تستطيع أن تعيش في البحر. لذلك جعل اللّه حاجزا وحجرا محجورا.

قال تعالى في سورة «الفرقان»، الآية 53 : «**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا**».

هذا بالنّسبة للبرزخ المائي الّذي هو بين النّهر والبحر ولكن هنالك أيضا برازخ مائيّة بين البحار، فكما نعلم أنّ الكرة الأرضيّة فيها نسبة السّبعين من المائة من الماء، ويبدو للنّاظر من أوّل وهلة أنّ الماء الذي يغطّي الكرة الأرضيّة ماء واحد، وله خصائص واحدة، بالنّسبة لمُلوحته وكثافته ولونه ودرجة حرارته ولكن العكس هو الصّحيح فكلّ بحر يختلف عن البحر الآخر في كلّ خصائصه.

لقد أثبتت الأبحاث العلميّة أنّ لكلّ بحر كثافة معيّنة لا تزيد

ولا تنقص ولون ماءه ثابت، لا يزيد ولا ينقص، وملوحة ثابتة لا تزيد ولا تنقص ؛ إذن هذا يدلّ أن هناك حاجز بين كلّ بحرين.

فبين مياه البحر الأبيض المتوسّط السّاخنة والمالحة حواجز عند دخولها إلى المحيط الأطلسي ذي المياه الباردة والأقل كثافة.

كما توجد مثل هذه الحواجز بين مياه البحر الأحمر وخليج عدن، وهذا الذي وصل إليه العلم الحديث في آخر القرن العشرين، هو صريح البيان القرآني في سورة «الرّحمان»، حيث قال تعالى : «**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**»، فالقرآن يتحدّث عن بحرين مالحين مختلفين والدّليل على ذلك ما ذكره علماء التّفسير من أن لفظ البحر إذا أطلق في القرآن دون تقييد فهو ماء البحر المالح.

لقد تبيّن أنّ هناك بحرين مالحين يفصل بينهما حاجز مركب من ماء ثالث يتميّز بخصائص مختلفة ومستقلّة عن البحرين الذي يفصل بينهما.

وقد تمّ اكتشاف هذه الظّاهرة العجيبة عام 1962م على يد بعثة ألمانيّة أقامت في "باب المندب"، وهي منطقة التقاء البحر الأحمر ببحر العرب، وهذا الحاجز أصبح الآن أمرا مرئيّا، ويمكن تصويره بالسّفن الفضائيّة، وأضاف العلماء أن هذا الحاجز ليس ثابتا في مكانه طوال السّنة، ولكنّه يتحرّك، ويتردّد بسبب الأمواج والرّياح والمدّ والجزر، ويقدر عمق الحاجز في البحر ألف مترا وهذا يتطابق

تماما مع الآية الكريمة من سورة «الرّحمان» : «**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**».

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ العالم الفرنسي الشّهير «جاك كوستو»، وهو من أكبر علماء البحار في فرنسا، وصاحب الأفلام التلفزيونيّة عن البحار، قد أعلن أنّه اكتشف وجود حاجز من ماء بين بحرين مالحين يختلف في تركيبه عن تركيب كلّ من البحرين، ولكنّه اندهش عندما علم أنّ هذا الاكتشاف قد سبقه إليه القرآن الكريم، أكثر من 1400 سنة، عندئذ أسلم وقال : «إذا كان هذا حقّا قد وُجد في القرآن فأشهد أنّ هذا لا يكون إلاّ من عند اللّه، وأنّ محمّدا هو رسول اللّه».

فهرس المصادر والمراجع

1. ابن كثير الدمشقي : مختصر تفسير بن كثير.
2. كتاب : صحيح البخاري.
3. كتاب : صحيح مسلم.
4. زغلول راغب النجار : كتاب الأرض.
5. الإمام أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين.
6. كتاب أعشاب عالج بها النبي «صلى الله عليه وسلم» : لحافظ شعيشع.
7. موسوعة الإعجاز القرآني في العلوم والطّبّ والفلك.
8. كتاب : الطبّ النّبوي، لابن قيم الجوزيّة.
9. الطّبّ النّبوي والعلم الحديث للنّسيمي.
10. الشّبكة العنكبوتيّة العالميّة.

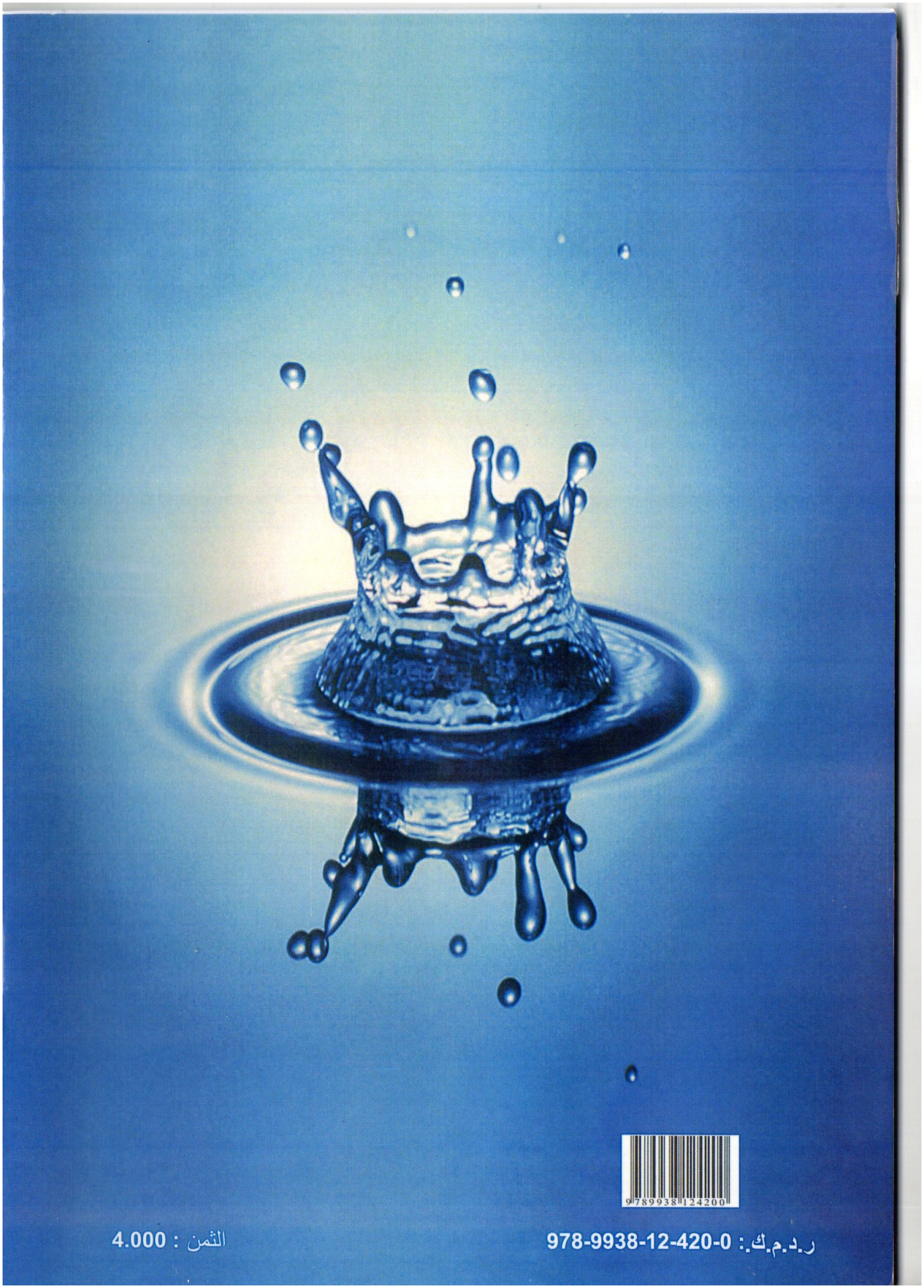

ر.د.م.ك.: 978-9938-12-420-0

الثمن : 4.000